

اللّه في خلقه كل إنسان لا بد أن يرتشف من ذلك الكأس، وهنا شبه الموت بالكأس المملوء بالماء، ونحوه وكل واحد يرشف هذه الرشفة إن كان عبداً أو سيداً فكأنه يستمد كلمات هذا البيت من البيت الذي يقول:

الموت كأس كل الناس ذائقه      والقبر دائر كل الناس ساكنه

ويظهر في هذه القصيدة القصيرة انتقاء الكلمات، وروعة في الأسلوب، والبلاغة في التصوير واستعارة، وكتابة فهي تنم على ضلوع صاحب القصيدة في اللغة العربية وبلاغتها، فهو تصوير بليغ.

وختم قصيدته بأن الموت لا مفر منه، فحتى سيد الكائنات محمد بن عبدالله انتقل إلى جوار ربه، وهو خير البرية، فالموت لا يفرق بين البشر. ولكن شاعرنا الأرواني لم يفلت من الكأس الذي رثا به بعض أخوانه. وما هي إلا فترة من الزمن حتى تجرّعها، وبموته فقدت منطقة غرب أفريقيا علماً من أعلامها، في العلم. وقد رثاه عدد من علماء غرب أفريقيا، نورد نموذجاً منها خشية الإطالة على القارئ. فهذا الفقيه الورع الزاهد الشيخ عيسى يرثي العلامة محمد محمود الأرواني بقصيدة تحتوي على خمسة عشر بيتاً يصوّر فيها الشاعر أن الدائم هو وجه الله تعالى أما البشر فإلى زوال طال الأمد أم قصر. ويبين شاعرنا أنّ فقد العالم من الصعب تعويضه، وضرب مثلاً بالعلامة صاحبنا الذي قال عنه أنه لم يترك من يوازيه في العلم، وعرفه بالحبر الراسخ قديمه في العلم وهو الذي يحلّ مشاكل المنطقة من فتاوى وغيرها.

وهذا نموذج من قصيدة للشاعر محمد بن محمد بن إبراهيم، يرثي فيها شيخه حما النحوي.

وفيها يذكر شمائل شيخه، من علم، وأدب، وعدل، وبشاشة الوجه، وحسن المعاملة ويطلب من الله أن يسكنه فسيح جناته، بما أسداه للعلم وأهله من خدماتٍ جلييلة يذكرها الذاكرون من بعده.